

تقرير

شوقي عشقوتبي
lionbars@hotmail.comالعراق على خط التماس الإيراني - الأميركي:
ساحة مواجهة أم منطقة عازلة؟

قدر العراق ان يظل في حال اضطراب مثل سفينة تتقاذفها الامواج وتكافح للوصول الى شاطئ الامان، وان يدفع ثمن صراعات الاخرين على ارضه بعدما امعنت التدخلات الخارجية في اضعاف مؤسساته. ما كاد يتخلص من كابوس داعش، ومن اخطر تهديد لوحده وامنه، باغته صراع اميركي - ايراني اربك توازناته ووضعه فوق صفيح ساخن



سيكون العراق الساحة الأكثر احتمالاً للمواجهة نتيجة انتشار القوات الاميركية.

للتفاوض، واعلنت طهران رفضها لهذه الشروط والتفاوض تحت ضغط العقوبات، ولوحت بالرد المناسب في حال ضاق الخناق الاقتصادي والمالي عليها بعد تصفير صادراتها النفطية. بالفعل، حصلت تطورات دراماتيكية وتسارعت وتيرة الاحداث في منطقة الخليج، وتعرضت ناقلات نفط لهجمات واعتداءات. وفيما اكتفت واشنطن بالقول انها سترد على ايران عسكريا في حال استهدفت القوات والمصالح الاميركية، فانها اظهرت قدرا كبيرا من القلق حيال نيات ايران واستعداداتها، لاسيما في العراق.

الانظار تحولت في اتجاه العراق منذ الزيارة المفاجئة لوزير الخارجية الاميركي مايك بومبيو في منتصف ايار الماضي، والتي تقررر بعدما اظهرت معلومات استخبارية اميركية، ان جماعات شيعية مسلحة تدعمها ايران، قامت بنشر صواريخ قرب قواعد للقوات الاميركية. طلب بومبيو من القادة العسكريين العراقيين الكبار ان يحكموا سيطرتهم على هذه الجماعات التي توسع نفوذها في العراق، بعدما باتت تشكل جزءا من جهازه الامني.

بعد زيارة بومبيو بايام، طلبت واشنطن من الموظفين غير الاساسيين في سفارتها في بغداد المغادرة، كما طلبت من الاميركيين عدم السفر الى العراق. واعلن الجيش الاميركي ان البعثة الاميركية في حال تأهب قصوى وتواصل المراقبة عن كثب لاي تهديدات محتملة وشيكة للقوات الاميركية في العراق، كما سحبت وزارة الخارجية الموظفين من السفارة والقنصلية في اربيل.

هذه التطورات شكلت احراجا شديدا لحكومة بغداد وشيعة العراق بشكل عام. فالمخاوف موجودة والتقديرات عند نواب وخبراء عراقيين تدل على ان العراق سيكون ابرز نقاط الصدام بين اميركا وايران، لأنه اولا وجيوسياسيا منطقة ارتطام، وثانيا جزء من الخليج، وثالثا اسفين تريده اميركا بين ايران وسوريا. وسيكون العراق الاكثر تأثرا بالحرب بعدما باتت كل السيناريوهات والاحتمالات مطروحة، وسيكون الساحة الاكثر احتمالا للمواجهة نتيجة الانتشار الكبير للقوات

الاميركية هناك على تماس مع ميليشيات شيعية تدعمها ايران.

الموقف العراقي الرسمي هو الحياد والنأي بالنفس، اذ لا مصلحة للعراق في ان يكون جزءا من سياسة المحاور، وان يكون مع هذا الطرف ضد ذلك، لأنه سيدفع ثمنا باهظا اذا فعل، خصوصا وان الدولة العراقية ما زالت هشة وضعيفة وغير قادرة على مواجهة ازمات ومخاطر من هذا النوع. مصلحة العراق، الواقع على خط التماس الاميركي - الايراني في المنطقة، تكمن في ان لا يتحول الى ساحة مواجهة، وانما في ان يلعب دور وساطة ويشكل منطقة عازلة بين الطرفين.

كثيرة هي المبادرات والوساطات والمساعي التي هدفت الى احتواء التوتر الاميركي - الايراني في المنطقة، وتهديئة الاوضاع ومنع الانزلاق الى حرب. قامت دول عدة بمحاولات ومسامح في هذا الاتجاه، بينها اليابان والمانيا وسلطنة عمان وقطر، وحتى باكستان. في اطار الوساطات، يبرز دور مهم للعراق، ليس فقط بين ايران والولايات المتحدة، انما ايضا بين ايران ودول الخليج التي انخرطت في الازمة الايرانية - الاميركية.

يشكل العراق ملتقى استثنائيا للولايات المتحدة وايران المتعديتين في ما بينهما، والمتحالفتين مع بغداد. اعلن قادة العراق موقف الحياد الايجابي وسياسة النأي بالنفس، وان البلد جاهز لدور

الوسيط او ناقل الرسائل، وان لا مصلحة له ابدأ في تأجيج الموقف، وفي ان تكون ارضه ساحة حرب او منطلقا لها ضد اي دولة. ويرى هؤلاء ان العراق سيكون اكثر البلدان تضررا واولها في حال نشوب حرب بين طهران وواشنطن، ولا بد من تجنب هذه الحرب بأي ثمن، داعين الى رفع شعار: العراق ومصالحه الوطنية اولا.

في الواقع، ثمة تعاطف شيعي مع ايران، من منطلق ان لا مبرر للعقوبات الاميركية الصارمة وتضييق الخناق عليها، وان الولايات المتحدة هي البادئة في التصعيد بانسحابها من الاتفاق النووي. لكن قادة الشيعة يميلون الى ان يأخذ العراق دوره في المنطقة لأنه قادر على ان يلعب دورا محوريا في هذه الازمة، نظرا الى ما يتمتع به من موقع ومن وضع سياسي يتمثل في انفتاح الاخرين عليه، ومن مصلحة ان لا تكون هناك حرب في المنطقة، وان يتعد من الصراع الدائر عبر دور الوساطة بين الطرفين، خصوصا وانه يحتفظ بمصالح حيوية مع الدولتين المتعديتين. فقد دعمته واشنطن في حربه على داعش عبر الغارات الجوية، ودعمته طهران من خلال تجهيز وتسليح الحشد الشعبي. لكن ثمة من يرى ان تهديدات واشنطن لطهران، وخصوصا العقوبات الاقتصادية، يمكن ان تكون فرصة لاعادة التوازن في العلاقات الايرانية - العراقية، وربما تؤدي الحرب او حتى الضغوط



ثمة تعاطف شيعي مع ايران حيال العقوبات الاميركية.

الاقتصادية الى فك الارتباط السياسي والاقتصادي بين طهران وبغداد، بعدما اضحى هذا الارتباط واضحا وصريحا في كل مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية العراقية.

ما يحصل الان من توتر بين واشنطن وطهران، ربما يمنح بغداد فرصة جيدة لتقليص مساحات النفوذ الايراني، واعادة التوازن في علاقات العراق مع جيرانه. في الواقع، يتطلع العراق، في موازاة الحياد الايجابي ودور الوساطة بين ايران واميركا، الى ان يكون عامل توازن في المنطقة ويوازن في علاقاته بين الجار الايراني والعمق العربي.

قبل اشهر معدودة، عشية القمة العربية، حل رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي ضيفا مرحبا به في القاهرة، وفي اطار قمة ثلاثية جمعته الى الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي والعاقل الاردني الملك عبد الله الثاني. وفي خلال وجوده في القاهرة، مرر عادل عبدالمهدي رسالة سياسية جوهرها الحرص على اقامة افضل العلاقات مع كل الدول بدءا من دول الجوار، لكنه اكد في الوقت نفسه عمق العراق العربي. بعد الزيارة الاستثنائية التي قام بها الرئيس الايراني حسن روحاني الى بغداد ومكث فيها ثلاثة ايام ووقع اتفاقات شاملة واستراتيجية، والتقى المرجع الشيعي اية الله علي السيستاني، كان لافتا ان البيان الذي صدر عن مكتب السيستاني بعد اللقاء حدد الملامح الرئيسية للعلاقة التي ينبغي ان تكون بين العراق وايران. تحدث البيان عن الترحيب بأي خطوة في سبيل تعزيز علاقات العراق بجيرانه، وفقا لمصالح الطرفين، وعلى اساس احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية. الا ان الجانب المهم حقا، كان تشديد المرجع الاعلى على "ضرورة ان تتسم السياسات الاقليمية والدولية في هذه المنطقة الحساسة بالتوازن والاعتدال، لتجنب شعوبها المزيد من الماسي والاضرار".

يرفع مسؤولون كثر في العراق شعار العراق اولا الذي لا يزال يحتاج الى القدرة على خلق توازن في العلاقات مع بقية دول الجوار، وتأكيد حياد موقف العراق من الصراعات الاقليمية والدولية. ويشددون على ان تحقيق الامن يتطلب التعاون مع ايران ودول المنطقة، وان بغداد تمثل ملتقى لدول المنطقة. وان الاوان حان للمنطقة ان تزدهر اقتصاديا من خلال التعاون المشترك، فلا يكون العراق ساحة للصراع الاقليمي او الدولي.